مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن

www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

التَّدَبُّرُ فِي بَعْضِ آيَاتِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

*** كَذَلِكَ النَّظَرُ بِتَدَبُّرٍ وَفَهْمٍ إِلَىٰ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْآيَاتِ:**

- فَهَذَا مِثَالٌ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَصَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ- نَفْسَهُ بَعْدَ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بِأَنَّهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي اتِّصَافِهِ بِـ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تَرْهِيبٌ، قَرَنَهُ بِـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ التَّرْغِيبِ؛ لِيَجْمَعَ فِي صِفَاتِهِ بَيْنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، لِيَكُونَ أَعْوَنَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَأَمْنَعَ».

فَتَأَمَّلِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: فِيهَا اتِّصَافٌ بِالتَّرْهِيبِ، فَقَرَنَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالتَّرْغِيبِ فَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١- ٣]؛ لِيَجْمَعَ فِي صِفَاتِهِ بَيْنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، لِيَكُونَ أَعْوَنَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَأَمْنَعَ.

- فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٤-١٦٥].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا أَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- فِي الْآيَةِ قَبْلُ مَا دَلَّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعِظَمِ سُلْطَانِهِ؛ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَعَ هَذِهِ الْآيَاتِ -الْقَاهِرَةِ لِذَوِي الْعُقُولِ- مَنْ يَتَّخِذُ مَعَهُ أَنْدَادًا».

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَحْسَنَ اتِّصَالَ هَذِهِ الْآيَةِ بِالَّتِي قَبْلَهَا؛ فَإِنَّهُ -تَعَالَىٰ- لَمَّا بَيَّنَ وَحْدَانِيَّتَهُ وَأَدِلَّتَهَا الْقَاطِعَةَ، وَبَرَاهِينَهَا السَّاطِعَةَ، الْمُوصِلَةَ إِلَىٰ عِلْمِ الْيَقِينِ، الْمُزِيلَةَ لِكُلِّ شَكٍّ، ذَكَرَ هُنَا أَنَّ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ مَعَ هَذَا الْبَيَانِ التَّامِّ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾».

*** كَذَلِكَ وَصْفُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمُقْتَضَىٰ الْآيَةِ:**

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ سَمِعَتْ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المُجَادِلَة: ١]: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ تُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ».

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ٢٣]، فَصَاحَ وَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ!! مَنْ أَغْضَبَ الْجَلِيلَ حَتَّىٰ حَلَفَ؟! أَلَمْ يُصَدِّقُوهُ فِي قَوْلِهِ؟!

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فَيَقُولُ: مَنْ أَغْضَبَ الْجَلِيلَ حَتَّىٰ حَلَفَ؟!

www.menhaa-un.com

* وَأَمَّا الْخَوْفُ مِنَ الْعُقُوبَةِ:

فَعَنْ عِكْرِمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: جِئْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ يَبْكِي؛ وَإِذَا الْمُصْحَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حِجْرِهِ فَأَعْظَمْتُ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ، ثُمَّ لَمْ أَزَلْ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَقَدَّمْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟! فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الْوَرَقَاتُ! وَإِذَا هُوَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ.. وَذَكَرَ لَهُ أَصْحَابَ السَّبْتِ.. ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦٥].

قَالَ: فَأَرَىٰ الَّذِينَ نَهَوْا قَدْ نَجَوْا، وَلَا أَرَىٰ الْآخَرِينَ ذُكِرُوا، وَنَحْنُ نَرَىٰ أَشْيَاءَ نُنْكِرُهَا وَلَا نَقُولُ فِيهَا! قَالَ: قُلْتُ: جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ! أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ كَرِهُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ وخَالَفُوهُمْ وَقَالُوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦٤]؟! قَالَ: فَأَمَرَ لِي فَكُسِيتُ ثَوْبَيْنِ غَلِيظَيْنِ.

لِأَنَّهُ تَنَبَّهَ إِلَىٰ أَمْرٍ لَمْ يَفْطِنْ هُوَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ! أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ كَرِهُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ وَخَالَفُوهُمْ وَقَالُوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦٤]؟! قَالَ: فَأَمَرَ لِي فَكُسِيتُ ثَوْبَيْنِ غَلِيظَيْنِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَرَأْتُ اللَّيْلَةَ آيَةً أَسْهَرَتْنِي: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ الآيَةَ [البَقَرَة: ٢٦٦]، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ.. وَقَدْ سَأَلَهُمْ: مَا عَنَىٰ؟ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: اللهُ أَعْلَمُ.

فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ أَعْلَمُ، وَلَكِنْ إِنَّمَا سَأَلْتُ، إِنْ كَانَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ عِلْمٌ وَسَمِعَ فِيهَا بِشَيْءٍ أَنْ يُخْبِرَ بِمَا سَمِعَ! فَسَكَتُوا، فَرَآنِي أَهْمِسُ -يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قُلْ يَا ابْنَ أَخِي، وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ. قَالَ: قُلْتُ: عُنِيَ بِهَا الْعَمَلُ. فَتَرَكَنِي، وَأَقْبَلَ وَهُوَ يُفَسِّرُهَا وَيَقُولُ: صَدَقْتَ يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّمَا عُنِيَ بِهَا الْعَمَلُ، ابْنُ آدَمَ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَىٰ جَنَّتِهِ إِذَا كَبُرَ سِنُّهُ وَكَثُرَ عِيَالُهُ، وَابْنُ آدَمَ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَىٰ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صَدَقْتَ يَا ابْنَ أَخِي.

وَعَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «قَرَأَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا آيَةً فَوَقَفَ عِنْدَهَا، أَسْهَرَتْهُ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، فَدَعَا ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: إِنِّي قَرَأْتُ آيَةً وَقَفْتُ اللَّيْلَةَ عِنْدَهَا فَأَسْهَرَتْنِي حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يُوسُف: ١٠٦]! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لَا تُسْهِرْكَ؛ إِنَّمَا عُنِيَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ.. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ [لُقْمَان: ٢٥]، فَهُمْ يُؤْمِنُونَ هُنَا وَيُشْرِكُونَ بِاللهِ».

فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

أَتَىٰ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ عَلَىٰ شَيْءٍ كَثِيرٍ مِنْ مَقَاصِدِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ الْمُبَارَكَةِ مِمَّا لَا يَنْقَضِي مِنْهُ الْعَجَبُ، وَذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ مُجَلَّدَاتٍ كِبَارٍ -يُرِيدُ

«مَدَارِجَ السَّالِكِينَ»-، وَأَتَىٰ بِوَقْفَاتٍ يَتَأَمَّلُ فِيهَا فِي فَاتِحَةِ الْفَوَاتِحِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ مِمَّا لَا يَنْقَضِي مِنْهُ الْعَجَبُ وَمِمَّا يَبْهَرُ الْعُقُولَ وَالْقُلُوبَ، فَسُبْحَانَ مَنْ هَذَا عَطَاؤُهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

*** الْوَقْفَةُ الْأُولَىٰ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]:

تَأَمَّلْ فِي هَذَا الْمَثَلِ التَّطْبِيقِيِّ لِلتَّدَبُّرِ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ؛ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

«إِنَّ الْقَلْبَ يَعْرِضُ لَهُ مَرَضَانِ عَظِيمَانِ، إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُمَا تَرَامَيَا بِهِ إِلَىٰ التَّلَفِ وَلَا بُدَّ؛ وَهُمَا: الرِّيَاءُ، وَالْكِبْرُ. فَدَوَاءُ الرِّيَاءِ بِـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وَدَوَاءُ الْكِبْرِ بِـ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

قَالَ: وَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ -قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ- يَقُولُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَدْفَعُ الرِّيَاءَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تَدْفَعُ الْكِبْرِيَاءَ.

فَإِذَا عُوفِيَ مِنْ مَرَضِ الرِّيَاءِ بِـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وَمِنْ مَرَضِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعُجْبِ بِـ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَمِنْ مَرَضِ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ بِـ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦]؛ عُوفِيَ مِنْ أَمْرَاضِهِ وَأَسْقَامِهِ، وَرَفَلَ فِي أَثْوَابِ الْعَافِيَةِ، وَتَمَّتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ، وَكَانَ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ أَهْلُ فَسَادِ الْقَصْدِ، الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَالضَّالِّينَ وَهُمْ أَهْلُ فَسَادِ الْعِلْمِ، الَّذِينَ جَهِلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ.

وَحُقَّ لِسُورَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ هَذَا الشِّفَاءِ أَنْ يُسْتَشْفَىٰ بِهَا مِنْ كُلِّ مَرَضٍ، لِهَذَا لَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ هَذَا الشِّفَاءِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْشِفَاءَيْنِ، كَانَ حُصُولُ الشِّفَاءِ الْأَدْنَىٰ بِهَا أَوْلَىٰ، فَلَا شَيْءَ أَشْفَىٰ لِلْقُلُوبِ الَّتِي عَقَلَتْ عَنِ اللهِ كَلَامَهُ، وَفَهِمَتْ عَنْهُ فَهْمًا خَاصًّا، اخْتَصَّهَا بِهِ مِنْ مَعَانِي هَذِهِ السُّورَةِ».

*** الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ: وَجْهُ الْإِتْيَانِ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾** [الفَاتِحَة: ٦]:

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: هَذَا مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، وَالْإِتْيَانُ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَحْسَنُ وَأَفْخَمُ، فَإِنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ عُبُودِيَّةٍ وَافْتِقَارٍ إِلَىٰ الرَّبِّ الْجَلِيلِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِقْرَارٍ بِالْفَاقَةِ لَهُ وَإِلَىٰ عُبُودِيَّتِهِ مَعَ اسْتِعَانَتِهِ وَاسْتِهْدَائِهِ؛ فَأَتَىٰ فِيهِ بِصِيغَةِ ضَمِيرِ الْجَمْعِ؛ نَحْنُ مَعَاشِرَ عَبِيدِكَ مُقِرُّونَ لَكَ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْعَبْدُ لِلْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ شَأْنُهُ: نَحْنُ عَبِيدُكَ وَمَمَالِيكُكَ وَتَحْتَ طَاعَتِكَ وَلَا نُخَالِفُ أَمْرَكَ، فَيَكُونُ هَذَا أَحْسَنَ وَأَعْظَمَ مَوْقِعًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: أَنَا عَبْدُكَ وَمَمْلُوكُكَ، وَلِهَذَا لَوْ قَالَ: أَنَا وَحْدِي مَمْلُوكُكَ اسْتَدْعَىٰ مَقْتَهُ؛ فَإِذَا قَالَ: أَنَا وَكُلُّ مَنْ فِي الْبَلَدِ مَمَالِيكُكَ وعَبِيدُكَ وَجُنْدٌ لَكَ كَانَ أَعْظَمَ وَأَفْخَمَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أَنَّ عَبِيدَكَ كَثِيرٌ جِدًّا، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ، فَكُلُّنَا مُشْتَرِكُونَ فِي عُبُودِيَّتِكَ وَالِاسْتِعَانَةِ بِكَ وَطَلَبِ الْهِدَايَةِ مِنْكَ، فَقَدْ تَضَمَّنَ ذَلِكَ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَىٰ الرَّبِّ بِسَعَةِ مَجْدِهِ وَكَثْرَةِ عَبِيدِهِ وَكَثْرَةِ سَائِلِيهِ الْهِدَايَةَ مَا لَا يَتَضَمَّنُهُ لَفْظُ الْإِفْرَادِ فَتَأَمَّلْهُ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ أَدْعِيَةَ الْقُرْآنِ رَأَيْتَ

عَامَّتَهَا عَلَىٰ هَذَا النَّمَطِ؛ نَحْوَ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، وَنَحْوَ دُعَاءٍ آخَرَ فِي آخِرِ الْبَقَرَةِ وَفِي آخِرِ آلِ عِمْرَانَ وَأَوَّلِهَا، وَهُوَ أَكْثَرُ أَدْعِيَةِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ».

*** الْوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾** [الفَاتِحَة: ٦-٧].

قَالَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَضَافَ النِّعْمَةَ إِلَيْهِ، وَحَذَفَ فَاعِلَ الْغَضَبِ لِوُجُوهٍ:

مِنْهَا: أَنَّ النِّعْمَةَ هِيَ الْخَيْرُ وَالْفَضْلُ؛ لِأَنَّهُ أَضَافَ النِّعْمَةَ إِلَيْهِ وَحَذَفَ فَاعِلَ الْغَضَبِ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ مَنْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ، لَمْ يَقُلْ هَكَذَا.. وَإِنَّمَا حَذَفَ فَاعِلَ الْغَضَبِ وَقَالَ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

فَأَمَّا إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَيْهِ فَالنِّعْمَةُ هِيَ الْخَيْرُ وَالْفَضْلُ، وَأَمَّا الْغَضَبُ فَمِنْ بَابِ الِانْتِقَامِ وَالْعَدْلِ، وَالرَّحْمَةُ تَغْلِبُ الْغَضَبَ، فَأَضَافَ إِلَىٰ نَفْسِهِ أَكْمَلَ الْأَمْرَيْنِ، وَأَسْبَقَهُمَا وَأَقْوَاهُمَا، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ فِي إِسْنَادِ الْخَيْرَاتِ وَالنِّعَمِ إِلَيْهِ، وَحَذْفِ الْفَاعِلِ فِي مُقَابِلِهَا، كَقَوْلِ مُؤْمِنِي الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجِنّ: ١٠].

فَعِنْدَ الشَّرِّ أَتَوْا بِالْإِسْنَادِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجِنّ: ١٠]، وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَضِرِ فِي شَأْنِ الْجِدَارِ

وَالْيَتِيمَيْنِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكَهْف: ٨٢]، وَأَمَّا فِي خَرْقِ السَّفِينَةِ: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكَهْف: ٧٩]، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ﴾ [الكَهْف: ٨٢]».

وَقَالَ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي حَذْفِ فَاعِلِ الْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ مِنَ الْإِشْعَارِ بِإِهَانَةِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ وَتَحْقِيرِهِ وَتَصْغِيرِ شَأْنِهِ مَا لَيْسَ فِي ذِكْرِهِ، وَفِي ذِكْرِ فَاعِلِ النِّعْمَةِ مِنْ إِكْرَامِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ وَالْإِشَادَةِ بِذِكْرِهِ وَرَفْعِ قَدْرِهِ مَا لَيْسَ فِي حَذْفِهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ قَدْ أَكْرَمَهُ مَلِكٌ وَشَرَّفَهُ وَرَفَعَ قَدْرَهُ، فَقُلْتَ: هَذَا الَّذِي أَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مَا تَمَنَّاهُ، كَانَ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ وَالتَّعْظِيمِ مِنْ قَوْلِكَ: هَذَا الَّذِي أُكْرِمَ وَخُلِعَ عَلَيْهِ وَشُرِّفَ وَأُعْطِيَ».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمَّا كَانَ طَالِبُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ طَالِبَ أَمْرٍ أَكْثَرُ النَّاسِ نَاكِبُونَ عَنْهُ، مُرِيدًا لِسُلُوكِ طَرِيقٍ مُرَافِقُهُ فِيهَا فِي غَايَةِ الْعِزَّةِ، وَالنُّفُوسُ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ وَحْشَةِ التَّفَرُّدِ، وَعَلَىٰ الْأُنْسِ بِالرَّفِيقِ، نَبَّهَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- عَلَىٰ الرَّفِيقِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: ٦٩]، فَأَضَافَ الصِّرَاطَ إِلَىٰ الرَّفِيقِ السَّالِكِينَهُ، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، لِيَزُولَ عَنِ الطَّالِبِ لِلْهِدَايَةِ وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ وَحْشَةُ تَفَرُّدِهِ عَنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَبَنِي جِنْسِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ رَفِيقَهُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَكْتَرِثُ بِمُخَالَفَةِ النَّاكِبِينَ عَنْهُ لَهُ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الْأَقَلُّونَ قَدْرًا، وَإِنْ كَانُوا الْأَكْثَرِينَ عَدَدًا، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «عَلَيْكَ

بِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ»، وَكُلَّمَا اسْتَوْحَشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ فَانْظُرْ إِلَىٰ الرَّفِيقِ السَّابِقِ، وَاحْرِصْ عَلَىٰ اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَغُضَّ الطَّرْفَ عَمَّنْ سِوَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ سَيْرِكَ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّكَ مَتَىٰ الْتَفَتَّ إِلَيْهِمْ أَخَذُوكَ أَوْ عَاقُوكَ».

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَصْنَافُ الْخَلْقِ فِي الْعَمَلِ بِرُكْنَيِ

هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ، أَجْمَعُ آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ لِمَعَانِي الدِّينِ وَحَقَائِقِ الْمِلَّةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتِحَة: ٥]، يَعْتَرِفُ الْعَبْدُ عِنْدَ تِلَاوَتِهَا بِأَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ عَبْدٌ للهِ لَا يَعْبُدُ أَحَدًا سِوَاهُ، وَلَا يَتَوَجَّهُ بِرَغْبَتِهِ وَرَهْبَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرَجَائِهِ وَصَلَاتِهِ وَنُسُكِهِ وَجَمِيعِ عِبَادَاتِهِ إِلَّا للهِ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

فَالْأُسْلُوبُ أُسْلُوبُ قَصْرٍ فِيهِ تَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ، وَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ الْقَصْرَ وَالْحَصْرَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ يَعْنِي: لَا نَعْبُدُ إِلَّا أَنْتَ، وَ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ يَعْنِي: لَا نَسْتَعِينُ إِلَّا أَنْتَ.

الثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَسْتَعِينُ عَلَىٰ قَضَاءِ حَوَائِجِهِ، وَكَشْفِ كُرَبِهِ وَتَفْرِيجِ هُمُومِهِ، وَإِجَابَةِ دُعَائِهِ وَتَحْقِيقِ آمَالِهِ وَرَفْعِ آلَامِهِ، إِلَّا بِاللهِ؛ فَهُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِهَذَا يَعْتَرِفُ لِرَبِّهِ بِالْقُوَّةِ الْمُطْلَقَةِ، وَالْقُدْرَةِ التَّامَّةِ، وَالْعِلْمِ الْكَامِلِ، وَالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ الشَّامِلَةِ، وَالْفَضْلِ وَالْمُلْكِ وَالْإِنْعَامِ -جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ-.

وَهَذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ قِلَّةِ أَلْفَاظِهَا، فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ مَعَانِيَ جَلِيلَةً وَحَقَائِقَ عَالِيَةً، تَسْتَحِقُّ أَنْ يَتَوَقَّفَ الْمُسْلِمُ عِنْدَهَا مَلِيًّا؛ مِنْ ذَلِكَ:

أَنَّ الْعِبَادَةَ قُدِّمَتْ فِيهَا عَلَىٰ الِاسْتِعَانَةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فَتَقَدَّمَتِ الْعِبَادَةُ عَلَىٰ الِاسْتِعَانَةِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ حَقُّ اللهِ، وَأَمَّا الِاسْتِعَانَةُ فَحَقُّ الْمَخْلُوقِ، وَحَقُّ اللهِ -بِلَا شَكٍّ- مُقَدَّمٌ عَلَىٰ حَقِّ الْمَخْلُوقِ، وَهِيَ بِهَذَا تُعَلِّمُنَا الْأَدَبَ مَعَ اللهِ، وَتَقْدِيمَ حَقِّهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؛ اعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَإِجْلَالًا لَهُ وَخُضْعَانًا لِجَنَابِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ الْفِعْلَيْنِ جَاءَا بِلَفْظِ الْجَمْعِ «نَعْبُدُ» وَ«نَسْتَعِينُ»، وَلَمْ يَقُلْ: أَعْبُدُ وَأَسْتَعِينُ؛ تَذْكِيرًا لِلْمُسْلِمِ بِارْتِبَاطِهِ مَعَ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَحِرْصِهِ عَلَىٰ إِيجَادِهَا، وَبُعْدِهِ عَنِ الْفَرْدِيَّةِ وَالِانْعِزَالِ، إِضَافَةً إِلَىٰ مَا فِيهَا مِنَ التَّوَاضُعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ هَذَا الِاعْتِرَافُ.

ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ عِبَادَتَهُ مَعَ عِبَادَةِ الْأُمَّةِ، وَاسْتِعَانَتَهُ مَعَ اسْتِعَانَتِهَا؛ ارْتَفَعَ مِنْ قَلْبِهِ الِالْتِفَاتُ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَالْعُجْبُ بِهَا، فَهُوَ يَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ: أَنَا يَا رَبِّ لَيْسَ مِنِّي عِبَادَةٌ تَستَحِقُّ أَنْ أَعْتَرِفَ بِهَا؛ لَكِنَّ عِبَادَتِي مَعَ إِخْوَانِي هِيَ مَحَلُّ اعْتِرَافِي لَكَ وتَوَسُّلِي إِلَيْكَ، فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ رُؤْيَةُ الْمُصَلِّي لِعَمَلِهِ، وَهَذَا دَاعٍ لِقَبُولِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلًا مِنْ مُعْجَبٍ، وَلَا يَسْمَعُ دُعَاءً مِنْ مُتَكَبِّرٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ: تَقْدِيمُ الْعِبَادَةِ فِي الْآيَةِ عَلَىٰ الِاسْتِعَانَةِ وَافَقَ قَسْمَ السُّورَةِ الْمَذْكُورَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: النِّصْفُ الْأَوَّلُ للهِ، وَالنِّصْفُ الثَّانِي لِلْعَبْدِ، وَالسُّورَةُ مِنْ سَبْعِ

آيَاتٍ، تَبْدَأُ -عَلَىٰ الصَّحِيحِ- بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فَيَكُونُ مَا للهِ فِيهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ وَنِصْفٌ، وَمَا لِلْعَبْدِ ثَلَاثُ آيَاتٍ وَنِصْفٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ الدِّينَ مُنْقَسِمٌ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ؛ هُمَا: الْعِبَادَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ. وَلَا يَكْمُلُ دِينُ امْرِئٍ حَتَّىٰ يَقُومَ بِهِمَا عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ.

فَالصَّلَاةُ عِبَادَةٌ وَاسْتِعَانَةٌ، وَسُؤَالُ اللهِ وَدُعَاؤُهُ عِبَادَةٌ وَاسْتِعَانَةٌ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ مَنْ كَمَّلَهُمَا وَقَامَ بِهِمَا عَلَىٰ أَكْمَلِ وَجْهٍ وَأَحْسَنِ حَالٍ، وَشَرُّ الْخَلْقِ مَنْ تَرَكَ عِبَادَةَ اللهِ، وَتَرَكَ الِاسْتِعَانَةَ بِهِ عَلَىٰ قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَكَشْفِ الْكُرَبِ، وَتَيْسِيرِ الْأُمُورِ، وَشَرْحِ الصُّدُورِ.

هَذَانِ صِنْفَانِ، وَبَقِيَ صِنْفَانِ:

أَوَّلُهُمَا: مَنْ قَامَ بِالْعُبُودِيَّةِ وَقَصَّرَ فِي الِاسْتِعَانَةِ، وَهَذَا يَحْصُلُ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ، فَهُوَ يُؤَدِّي الْمَأْمُورَاتِ وَيَتْرُكُ الْمَنْهِيَّاتِ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِانْتِظَامٍ، لَكِنَّهُ مُقِلٌّ مِنَ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ عَلَىٰ قَضَاءِ حَاجَاتِهِ وَعِبَادَةِ رَبِّهِ، وَقَدْ حُرِمَ بِذَلِكَ حَظًّا عَظِيمًا مِنَ الِافْتِقَارِ إِلَىٰ اللهِ، وَاللَّجْأِ إِلَيْهِ وَالِانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَرْضِ حَاجَتِهِ عَلَىٰ مَنْ يَفْرَحُ بِقَضَائِهَا، وَيَبْتَلِي عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ لِيُقْبِلُوا بِهَا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، مُتَضَرِّعَةً قُلُوبُهُمْ، وَجِلَةً أَفْئِدَتُهُمْ، فَتَسْكُنُ بِمُنَاجَاةِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ الرَّحِيمِ، تَلَذُّ بِدُعَائِهِ، وَتَأْنَسُ بِعَرْضِ حَاجَتِهَا عَلَيْهِ.

وَهَذَا الصِّنْفُ يَقَعُ مِنْهُ التَّقْصِيرُ فِي الِاسْتِعَانَةِ جَهْلًا بِمَقَامِ الِاسْتِعَانَةِ، الَّذِي لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بِهِ، وَغَفْلَةً عَنِ الِاقْتِدَاءِ بِالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَىٰ

الِاسْتِعَانَةِ بِرَبِّهِمْ، وَالِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ، كَمَا وَقَعَ مِنْ آدَمَ، وَكَمَا وَقَعَ كَذَلِكَ مِنْ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ﷺ، وَمِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَإِنَّهُمْ فِي الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَاللَّجْأِ إِلَيْهِ عَلَىٰ مَقَامٍ عَظِيمٍ.

ثَانِي الصِّنْفَيْنِ: مَنْ يَسْتَعِينُ بِاللهِ فِي أُمُورِهِ وَتَحْصِيلِ حَاجَتِهِ وَلَوْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً، لَكِنَّهُ مُقَصِّرٌ فِي الْعِبَادَةِ، أَوْ تَارِكٌ لَهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي بَعْضِ الْعُصَاةِ وَالْمُنْحَرِفِينَ، وَعُتَاةِ الْمُجْرِمِينَ، فَتَجِدُهُمْ يَدْعُونَ اللهَ كَثِيرًا لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ -حَلَالًا كَانَتْ أَمْ حَرَامًا-، لَكِنَّهُمْ لَا يَرْعَوْنَ أَمْرَ اللهِ وَلَا نَهْيَهُ، وَلَا يُطِيعُونَ اللهَ وَلَا رَسُولَهُ ﷺ فِي قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ.

فَهَؤُلَاءِ أَصْنَافٌ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْنَافِ الْخَلْقِ فِي الْعَمَلِ بِرُكْنَيْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَمِنْ هُنَا تَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَفَقَّدَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ.

وَمِنْ عَجَائِبِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ أَنَّ الْعَبْدَ يَتَوَسَّلُ بِهَا بَيْنَ يَدَيِ الدُّعَاءِ الْأَعْظَمِ فِي السُّورَةِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فَيَعْتَرِفُ أَنَّهُ عَبْدٌ ذَلِيلٌ مُفْتَقِرٌ مُحْتَاجٌ طَالِبٌ لِلْعَوْنِ، وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا أَهَمُّ شَيْءٍ تُرِيدُ أَنْ يُعِينَكَ اللهُ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

حَرِيٌّ بِمَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ومَجَّدَهُ، ثُمَّ اعْتَرَفَ بِعُبُودِيَّتِهِ بِرَبِّهِ؛ أَنْ يُجَابَ دُعَاؤُهُ وَتُحَقَّقَ طَلَبَاتُهُ.

فَهَذَا بَعْضُ التَّدَبُّرِ فِي بَعْضِ آيَاتِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَهُنَاكَ أَمْثِلَةٌ وَنَمَاذِجُ لِتَدَبُّرِ السَّلَفِ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْبَغِي أَنْ تُعْرَفَ لِتُحْتَذَىٰ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يَصِلَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا بِذُلِّهِ لِرَبِّهِ، وَافْتِقَارِهِ إِلَيْهِ، وَانْطِرَاحِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ طَالِبًا عَوْنَهُ، مُسْتَمْنِحًا إِيَّاهُ الْهِدَايَةَ وَالْفَهْمَ، لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ صَاحِبُ الْإِفْهَامِ وَحْدَهُ.. ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾؛ فِي تِلْكَ الْمُشْكِلَةِ الَّتِي حَكَمَ فِيهَا دَاوُدُ بِمَا حَكَمَ، وَصَارَ سُلَيْمَانُ إِلَىٰ حُكْمٍ آخَرَ كَانَ مَوْطِنَ الصَّوَابِ فِي الْحُكْمِ، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ [الأَنْبِيَاء: ٧٩].

حَتَّىٰ يَنْفِيَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَقَ بِالْأَذْهَانِ عِنْدَ الثَّنَاءِ عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بِأَنَّهُ قَدْ فُهِّمَ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ أَبُوهُ لِبَعْضِ تَنَقُّصٍ لِأَبِيهِ عليه السلام، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ أَيْضًا، فَيَنْفِي هَذَا عَنِ الْأَذْهَانِ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾، وَلَكِنَّ الْمِنْحَةَ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

أَنِينُ التَّائِبِينَ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- مِنْ زَجَلِ الْمُسَبِّحِينَ، وَمَا دُخِلَ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ بَابٍ هُوَ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَالذُّلِّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالِانْكِسَارِ لِجَلَالِ عَظَمَتِهِ، فَإِنَّهُ مَا دَخَلَ دَاخِلٌ عَلَىٰ رَبِّهِ مِنْ بَابٍ هُوَ أَوْسَعُ مِنْ هَذَا الْبَابِ، بِمَعْنَىٰ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا للهِ، وَهَذَا مَا يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَلْحَظَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُحَقِّقَهُ فِي الْحَيَاةِ.

كُنْ عَبْدًا؛ لَسْتَ سَيِّدًا، لَسْتَ أَصِيلًا فِي الْكَوْنِ، أَنْتَ طَارِئٌ عَلَيْهِ.

كُنْ كَمَا خَلَقَكَ اللهُ، قَدْ خَلَقَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَبْدًا، فَكُنْ عَبْدًا كَمَا خَلَقَكَ اللهُ.

مَا خَلَقَكَ سَيِّدًا، وَلَنْ تَكُونَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مُسَخَّرٌ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ -هَذَا فِي الْجُمْلَةِ-، وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللهُ وَمَنْ خَلَقَ كَذَلِكَ، حَتَّىٰ إِبْلِيسُ؛ فَهُوَ عَبْدٌ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ فِي إِطَارِ الْعُبُودِيَّةِ الْعَامَّةِ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا؛ وَإِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ مَقْهُورٌ مَرْبُوبٌ مُسَخَّرٌ.

وَأَمَّا الْعِبَادَةُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْعَبْدُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَضَافَهُمُ الرَّحْمَنُ لِنَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرْقَان: ٦٣]، فَأَضَافَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ.

وَأَمَّا الْكُلُّ فَهُمْ عَبِيدٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ، وَأَمَّا بِالْمَعْنَىٰ الْخَاصِّ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ يَذِلُّونَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيُحَقِّقُونَ الْعُبُودِيَّةَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَمْدُوحُونَ حَقًّا، وَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ صِدْقًا.

وَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِالْوَسَائِلِ الْمُوصِلَةِ إِلَىٰ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦]، فَخَلَقَنَا اللهُ لِعِبَادَتِهِ؛ فَهَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ مِنْ خَلْقِنَا وَخَلْقِ الْخَلْقِ، وَهِيَ عِبَادَةُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا.

فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَسَّلَ بِالْوَسَائِلِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي آتَانَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ هَذِهِ الْغَايَةِ الْمُتَغَيَّاةِ، مِنْ ذَلِكَ مَا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ -أَعْنِي: الِاعْتِكَافَ فِي بُيُوتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا-.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتِ الْغَايَةُ سَامِيَةً، وَكَانَتِ الْقِمَّةُ عَالِيَةً؛ كَانَ عَبَثُ الشَّيْطَانِ وَكَيْدُهُ مِنْ أَجْلِ صَرْفِ الْخَلْقِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا شَدِيدًا وَضَارِيًا، فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَفَطَّنَ لِذَلِكَ، فَالْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ مِن الِاعْتِكَافِ هُوَ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَىٰ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بِتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ مِنْ شَوَائِبِهِ، وَإِقْبَالِهِ عَلَىٰ اللهِ خَالِقِهِ، وَالِانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ عُبُودِيَّةً لَهُ وَاسْتِعَانَةً بِهِ، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ مَعَ السَّفَاسِفِ وَمَعَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَتَأَتَّىٰ هَذِهِ الْأُمُورُ عِنْدَ عَدَمِ الْمُوَاتَاةِ لِمَا هُوَ الْأَصْلُ فِي مَسَائِلِ الِاعْتِكَافِ، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي مَسْأَلَةِ الِاعْتِكَافِ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ وَحْدَهُ.

وَقَدْ ضُرِبَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الْخِبَاءُ فِي الْمَسْجِدِ لِيَخْلُوَ فِيهِ بِرَبِّهِ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ، وتَدَاخُلِ الْمُتَدَاخِلِينَ، وَتَشْوِيشِ الْمُشَوِّشِينَ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الصَّوَارِفِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَلَكِنْ مَا لَا يُدْرَكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ؛ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْكُفَ عَلَىٰ ذَاتِهِ، مُقْبِلًا عَلَىٰ رَبِّهِ، بَعِيدًا عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ، وَبَعِيدًا عَنِ الْخِلَافِ وَالشِّجَارِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَ عَلَىٰ

بَابِ الْمَسْجِدِ مَعَ نَعْلِهِ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهُوِيَّتِهِ وَدَخَلَ عَبْدًا للهِ مُجَرَدًّا؛ وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الِاعْتِكَافِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُرَاجِعَ الْمَرْءُ مَا كَانَ، مُنْذُ احْتَلَمَ وَصَارَ مُكَلَّفًا، تُكْتَبُ عَلَيْهِ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، أَوْ تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُهُ وَلَهُ حَسَنَاتُهُ، إِلَىٰ اللَّحْظَةِ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا مُعْتَكَفَهُ.

فَحِينَئِذٍ يُصَفِّي قَلْبَهُ، وَيُنَقِّي ضَمِيرَهُ، وَيُهَذِّبُ تَصَوُّرَهُ وَفِكْرَهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحَصِّلَ أَكْبَرَ فَائِدَةٍ مَرْجُوَّةٍ مِنَ انْقِطَاعِهِ فِي بَيْتِ اللهِ لِرَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَىٰ الْمِنْحَةِ الْإِلَهِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ إِذَا خَرَجَ مِنَ اعْتِكَافِهِ مَغْفُورًا لَهُ مُهَذَّبًا مَصْقُولًا كَأَنَّمَا ولَدَتْهُ أُمُّهُ مِنْ جَدِيدٍ.

فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَطْرَحَ جَانِبًا كُلَّ خِلَافٍ وَكُلَّ شِجَارٍ، وَأَنْ نَقْطَعَ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ الطَّرِيقَ، فَإِذَا مَا جَاءَتِ الْأَسْئِلَةُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَىٰ الْخِلَافِ وَالْمُشَاجَرَةِ وَالنِّزَاعِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تَضْيِيعِ الْأَوْقَاتِ وَذَبْحِهَا، يَنْبَغِي عَلَيْنَا إِذَا مَا جَاءَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَنْ نَصُدَّهُ وَأَنْ نَرُدَّهُ، وَأَنْ نَسْتَقِيمَ عَلَىٰ النَّهْجِ، وَأَنْ نُقِلَّ الْكَلَامَ، وَأَنْ نُقِلَّ الْمَنَامَ، وَأَنْ نُقْبِلَ عَلَىٰ الْمَلِيكِ الْعَلَّامِ بِهِمَّةٍ وَاهْتِمَامٍ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَلَّا نُضَيِّعَ نَفَسًا فَيَصِيرَ فَارِغًا مِنْ ذِكْرٍ للهِ جَلَّ وَعَلَا.

هَذِهِ لَيْلَةٌ مِنَ لَيَالِي الْوِتْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَهِيَ مَظِنَّةُ أَنْ تَكُونَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْتَمِسُوهَا فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ**»، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَحْدِيدَاتِهَا عَلَىٰ حَسَبِ التَّقْرِيبِ

لَا عَلَىٰ حَسَبِ التَّعْيِينِ، وَلَكِنْ مَنْ قَامَ لَيَالِيَ الْعَشْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَهَذَا فِي الْجُمْلَةِ يَجْمَعُ لَكَ الْأَمْرَ كُلَّهُ.

أَنَّكَ إِذَا مَا قُمْتَ لَيَالِيَ الْعَشْرِ فَحَتْمًا تُصِيبُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّهَا فِي أَوْتَارِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَبِحِسْبَةٍ أُخْرَىٰ أَتَتْ مِنَ النَّقِيضِ لِلْحِسْبَةِ الْمَعْلُومَةِ فِي الْأَوْتَارِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَبَعًا لِبَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ، إِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَدْ تَكُونُ فِي الْأَشْفَاعِ، كَمَا تَكُونُ -أَيْضًا- فِي الْأَوْتَارِ «**الْتَمِسُوهَا فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَىٰ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَىٰ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَىٰ**»، قَالَ: «لَوْ كَانَ الشَّهْرُ كَامِلًا لَكَانَ ذَلِكَ مُوَافِقًا لِلْأَشْفَاعِ لَا لِلْأَوْتَارِ»، فِي مَعْنَىٰ مَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِذَنْ هِيَ الْعَشْرُ، وَيَنْبَغِي أَنْ تُنْفَقَ أَوْقَاتُهَا فِي طَاعَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»، لَوْ قُمْتَ وَحْدَكَ لَمْ تَتَحَصَّلْ عَلَىٰ هَذَا الْوَعْدِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ؛ يَعْنِي لَوْ قُمْتَ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَحْدَكَ مَعَ غَيْرِ إِمَامِكَ، فَمَنْ أَدْرَاكَ أَنَّكَ كُتِبَ لَكَ قِيَامُ اللَّيْلَةِ؟ حَتَّىٰ لَوْ قُمْتَهَا، لِأَنَّكَ يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ اللَّيْلَةَ وَلَا تُكْتَبُ لَكَ، وَإِنَّمَا تُكْتَبُ عَلَيْكَ، مَنْ أَدْرَاكَ؟

أَمَّا هَذَا الْوَعْدُ النَّبَوِيُّ الْكَرِيمُ فَهُوَ مُتَحَقِّقٌ لَا مَحَالَةَ: «**مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**».

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا قَالَتِ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا لَيْلَهُ؛ يَعْنِي كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَهِيَ الَّتِي رَوَتْ -أَيْضًا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا صَلَّىٰ لَيْلَةً إِلَىٰ الْفَجْرِ؛ يَعْنِي: مَا أَحْيَا لَيْلَةً قَطُّ بِالصَّلَاةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا.

إِذَنْ: بِالنَّظَرِ فِي الْحَدِيثَيْنِ، نَخْلُصُ إِلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُنَوِّعُ الْعِبَادَةَ فِي لَيَالِي الْعَشْرِ، وَهَذَا مَقْطُوعٌ بِهِ؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَان يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ كَانَتْ تَحْدُثُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ، فَهَذَا قَدْرٌ مِنَ الزَّمَانِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مَا شَاءَ اللهُ، وَيُدَارِسُهُ جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ، فَمُدَارَسَةُ الْقُرْآنِ مِنْ وَسَائِلِ إِحْيَاءِ لَيَالِي رَمَضَانَ وَإِحْيَاءِ الْعَشْرِ أَيْضًا.

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَكُتِبَ لَكَ -بِفَضْلِ اللهِ- قِيَامُ لَيْلَةٍ؛ فَاشْغَلْ بَاقِيَهَا بِمَا يَنْفَعُكَ، تَدَبَّرْ فِي آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَفْهَمُ، تَعَلَّمْ كَيْفَ تَسْبُرُ غَوْرَ الْآيَاتِ، وَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ الْمُرَادِ، وَقَدْ كُنْتُ ذَكَرْتُ قَدِيمًا لِإِخْوَانِنَا -بَارَكَ اللهُ فِيهِمْ- عِنْدَ النَّظَرِ فِي بَعْضِ الْأَجْزَاءِ مِنْ تَفْسِيرِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَتَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ عَلَىٰ خِلَافِ تَفْسِيرِ الْمُفَسِّرِينَ؛ لِأَنَّهُ يَلْحَظُ الْمَعْنَىٰ وَيُرَكِّزُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَىٰ التَّقْدِيرَاتِ النَّحْوِيَّةِ، وَالتَّخْرِيجَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، وَالْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُرَكِّزُ عَلَيْهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ مَطْلُوبٌ، وَلَكِنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ مَكْشُوفًا مِنْ أَقْصَرِ طَرِيقٍ، فَيَأْتِي بِالْآيَاتِ ثُمَّ يُعَقِّبُ الْآيَاتِ بِذِكْرِ مَعْنَاهَا.

فَكُنْتُ أَقُولُ لِإِخْوَانِي: «اقْرَأْ مَا ذَكَرَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ مَعْنَىٰ الْآيَاتِ مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً، ثُمَّ اكْتُبْ أَنْتَ مَعْنَىٰ الْآيَاتِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِكَ وَعَقْلِكَ مِنْ قِرَاءَتِكَ لِتَفْسِيرِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ لِتِلْكَ الْآيَاتِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَارِنْ مَا كَتَبْتَهُ بِمَا

كَتَبَهُ هُوَ، وَانْظُرْ هَلِ الْفَجْوَةُ بَيْنَ مَا كَتَبْتَ وَمَا كَتَبَ عَمِيقَةٌ وَغَائِرَةٌ، أَمْ أَنَّ الْمَدَىٰ قَرِيبٌ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَوْ ذَلِكَ فَاقْرَأْ كَلَامَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً، ثُمَّ اكْتُبْ أَنْتَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَمَا يَزَالُ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَقَعَ التَّطَابُقُ -لَا أَقْصِدُ فِي الْحِفْظِ، يَعْنِي أَنْ تَحْفَظَ كَلَامَهُ ثُمَّ تَكْتُبَهُ، فَمَا اسْتَفَدْنَا شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَكْتُبَ كِتَابَةً مُقَارِبَةً شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّىٰ يَقَعَ الْحَافِرُ عَلَىٰ الْحَافِرِ؛ يَعْنِي فِي الْمَعْنَىٰ لَا فِي اللَّفْظِ، وَإِنَّمَا بِفَهْمِكَ لِمَقَاصِدِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ-.

فَاشْغَلْ نَفْسَكَ بِمِثْلِ هَذَا، تَأَمَّلْ وَتَفَكَّرْ فِي حَالِكَ مُنْذُ بَلَغْتَ الْحُلُمَ، مُنْذُ صِرْتَ مُكَلَّفًا، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ يَسُوءُ وَمَا كَانَ مِنْ ذَنْبٍ، فَلَا تَدْرِي هَلْ غَفَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمْ لَمْ يَغْفِرْهُ! ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المُجَادَلَة: ٦]، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: ٤٧]؛ مَنْ أَدْرَاكَ أَنَّ مَا كَانَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالذُّنُوبِ قَدْ غُفِرَ؟! مَنْ أَدْرَاكَ أَنَّكَ لَا تُحَاسَبُ عَلَيْهِ؟!

مَنْ أَدْرَاكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَقَعُ عَلَىٰ الذَّنْبِ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا إِلَىٰ أَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي سَخَطِهِ؟!!

لَا تَدْرِي..!

تَأَمَّلْ وَاسْتَعِدْ وَانْظُرْ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ كَما أَمَرَ رَسُولُ اللهِ، اشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ بِمَا يَنْفَعُكُمْ، لَا تُضَيِّعُوا أَوْقَاتَكُمْ، وَلَا تُبَدِّدُوا وَتُهْدِرُوا أَعْمَارَكُمْ، وَلَا تَأْخُذُوا فِي الْجِدَالِ وَالْخِلَافِ وَالنِّقَاشِ وَالْمُمَارَاةِ.

دَعُوا هَذَا جَانِبًا، صَفُّوا الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ وَالنُّفُوسَ كَمَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الِاعْتِكَافِ، وَاللهُ يَرْعَاكُمْ، وَيُوَفِّقُ مَسْعَاكُمْ، وَيُسَدِّدُ قَصْدَكُمْ وَخُطَاكُمْ، إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com